الإفادة من رموز الفن القبطي في ابتكار مشغولات معدنية *

إعداد

أ.د/ محمد إبراهيم رجب الشوربجي
أستاذ ورئيس قسم التربية الفنية
كلية التربية النوعية – جامعة المنصورة

د/ إيمان محمد الحلو
مدرس بقسم التربية الفنية
كلية التربية – جامعة المنصورة

نرمين إبراهيم وليم جاد
باحث ماجستير

مجلة بحوث التربية النوعية ـ جامعة المنصورة
عدد (٤٦) ـ أبريل ٢٠١٧

* بحث مستل من رسالة ماجستير

الإفادة من رموز الفن القبطي في ابتكار مشغولات معدنية

أ.د/ محمد إبراهيم رجب الشوربجي* د/ إيمان محمد زكريا محمد الحلو**

أ/ نرمين إبراهيم وليم جاد***

الملخص

يعتبر التراث الحضاري من المصادر الهامة التي يستند إليها باحث ودارس الفن في بحثه الدائم عن أصول الحقائق وترجمتها، بهدف تعميق رؤيته الفنية إذ يعتبر التراث مصدر من مصادر الرؤية الفنية المرتبطة بالجذور الحضارية، فهو يمثل الأشكال الجمالية للثقافات المعبرة عن مدلول حضاري.

و استهدف البحث دراسة الفن القبطي بشكل عام كأحد فنون التراث المصري وكيفية الافادة منه في ابتكار مشغولات معدنية تحقق قيمة جمالية وفنية معاصرة.

تناولت الباحثة بالدراسة ماهية الفن القبطي . نشأة الفن القبطي . تأثير الفن المصري القديم على الفن القبطي . أثر الفن اليوناني والروماني على الفن القبطي . الفن القبطي والمشغولات المعدنية الرمزية في الفن القبطي: فلسفة الرمز في الفن القبطي

كما تطرقت الباحثة بالدراسة لمميزات الفن القبطي وهي: (نتاج عدة فنون سابقة . فن شعبي قبطي . فن ديني ومدني . فن يستخدم الخطوط والأشكال الهندسية . فن يتسم بالطابع المهاري . فن يميل إلى الزينة والجمال . فن جمال لا ضخامة . فن نابع من البيئة المصرية . فن واقعي . الفن القبطي فن تلقائي وبسيط . فن موضوعي . فن يميل إلى المنمنمات . سمات رسم الأشخاص) .

وتوصلت الباحثة الى نتيجة هامة من خلا البحث وهي ان الفن القبطي يميل إلى الرمزية في مشغولاته المعدنية.

مقدمة :

إن دراسة الفن تساعد على نمو الثقافات بصفة عامة، ونمو الثقافة الفنية بصفة خاصة، أما دراسة التراث الفني لأي حضارة قد تساعد الفرد على الاستفادة منها في مجالات الإبداع المختلفة. والتراث الحضاري من المصادر الهامة التي يستند إليها باحث ودارس الفن في بحثه الدائم عن أصول الحقائق وترجمتها وهذا لتعميق رؤيته الفنية، فهو يمثل الأشكال الجمالية للثقافات القديمة المعبرة عن الحضارة، التي أثرت على ثقافة ومعتقدات وفلسفة العصر الذي ولدت فيه إنما هو في حقيقته

* أستاذ ورئيس قسم التربية الفنية - كلية التربية النوعية – جامعة المنصورة

** مدرس بقسم التربية الفنية - كلية التربية النوعية – جامعة المنصورة

*** باحث ماجستير

متطور بتتبع الحضارات التي بمر بها ويشير إلى ذلك الناقد والمفكر الانجليزي " هربرت ريد " بقوله : " إن الفن نشاط إنساني ينبثق مثل نبات اخضر، ويأتي من جسد الفرد والمجتمع، وان دراسة التراث وأشكال المجتمع وأشكال الفن والعلاقة بين النظم والمجتمعات الأفراد بيئيا واقتصاديا واجتماعيا، أمر يقرر مصير التجديد الذي نريده".

ونلاحظ أن مفهوم الرمزية في الفن القبطي تعتبر من أهم الأركان والعناصر الأساسية في تلك الحركة الفنية ، بل هو المفتاح الأول والبرهان الحقيقي لتلك الحركة حيث أنها نابعة من موروث ثقافي محلي الطابع، علي الرغم من أن الرموز المسيحية ظلت في الفن القبطي منذ تلك الفترة إلا أنها جاءت معبرة عن ثقافة المجتمع المصري بصورة واضحة.

والرموز في الفن القبطي تختلف عن الرموز في أي فن آخر ومن ثم تختلف الأساليب الفنية باختلاف فلسفة وعقيدة الفنان في عهده، فمنهم من يلجأ للرمز ليعبر عن فكرته ومنهم من خلط عمدا الرمز بالواقع، وتعتبر الرمزية واحدة من السمات الرئيسية للفن القبطي وقد استخدمها الفنانون لتأكيد وتجميل معانيهم.

ولذلك سوف يهتم البحث الحالي بدراسة كيفية تنظيم الفكر التصميمي والعلاقات البنائية المبنية على إبراز الطابع المصري الأصيل بشكل يستطيع أن يؤسس شخصية مبدعة تحمل انتماء قوميا، مدعوما بجرأة في التعبير لإيجاد الحلول والبدائل الجمالية والوظيفية في إطار يتفق والتقنيات المتاحة. مستعينا في ذلك بمجموعة من النظريات العلمية والممارسات التطبيقية لتفعيل كيفية الاستفادة منها في مراحل تصميم المشغولات المعدنية.

مشكلة البحث:

نظرا لقلة الدراسات المتخصصة في مجال أشغال معادن التي تتنازل بالوصف والتحليل الأعمال التي تعتمد على الرموز والرمزية في الفن القبطي، فنجد أن هناك حاجة لوجود دراسة علمية تبرز كيفية الاستفادة من القيم التشكيلية والجمالية الموجودة بالرموز في الفن القبطي لإثراء مجال تصميم وتشكيل المشغولات المعدنية... ومن هنا نحدد مشكلة البحث في التساؤل التالي:

ما القيم الجمالية في مختارات من رموز الفن القبطي وكيف يمكن الاستفادة منها في ابتكار مشغولات معدنية لدى طلاب التربية الفنية؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى النقاط التالية :

- الاستفادة من القيم التشكيلية والجمالية الموجودة بالرموز القبطية.
- توفير مصدر إلهام لم يتناول من قبل في التوصل لحلول إبداعية جديدة مفيدة لمجال تصميم وتشكيل المشغولات المعدنية.
- تحليل بعض الرموز والعناصر التي لها رمزية ودلالة في الفن القبطي والاستفادة منها في مجال أشغال المعادن.

فروض البحث:

تتمثل فروض هذا البحث فيما يلي :

- توجد قيم جمالية في رموز الفن القبطي يمكن الاستفادة منها في ابتكار مشغولات معدنية.
- توجد علاقة ابتكاريه بين رموز الفن القبطي والمشغولات المعدنية.
- يمكن ابتكار مشغولات معدنية مستوحاة من رموز وعناصر الفن القبطي.

حدود البحث:

تقتصر حدود البحث على النقاط التالية :

- دراسة مختارات من الرموز في الفن القبطي المتمثلة في مجالات الفنون التشكيلية المختلفة.
- دراسة تحليلية لمختارات من رموز الفن القبطي.
- في الفن القبطي لإمكانية تطبيقها في مجال أشغال المعادن.

منهج البحث:

سوف يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي نظرا لملائمته لمعالجة التأصيل النظري في الدراسة .

الإطار النظري

أولاً : فلسفة الرمز في الفن القبطي

يعتبر التراث الحضاري من المصادر الهامة التي يستند إليها باحث ودارس الفن في بحثه الدائم عن أصول الحقائق وترجمتها، بهدف تعميق رؤيته الفنية إذ يعتبر التراث مصدر من مصادر الرؤية الفنية المرتبطة بالجذور الحضارية، فهو يمثل الأشكال الجمالية للثقافات المعبرة عن مدلول حضاري[١].

هذا المدلول وإن ارتبط بثقافة ومعتقدات وفلسفة العصر الذي ولد فيه إنما هو في حقيقته متطوراً بتتبع الحضارات التي مر بها.

ويعد الفن القبطي – كأحد فنون التراث المصري – من المجالات الهامة التي تستحق الدراسة الواعية. حيث أن بعض علماء تاريخ الفن – خاصة الأوروبيون – قد اعتمدوا في دراستهم للفن القبطي على المظهر السطحي ولم يعيروا جوهر الحقائق في التحليل، ويتفق الباحث مع آخرون في أنه " لابد لمن يتصدى لدراسة الفن القبطي أن يقوم بعدة دراسات متصلة بعضها بعض اتصالا وثيقاً وتعتبر في الحقيقة هي جوهر الفن القبطي فالتاريخ الاقتصادي والسياسي والاجتماعي مع نظرة خاصة إلي الناحية الدينية والمذهبية التي كانت وما تزال بالنسبة للشرق هي المحرك الأول والعامل

(١) جمال لمعي: نظرة التحديث في الفن كمدخل لمدرسة مصرية معاصرة، مقال منشور، مجلة دراسات وبحوث، جامعة حلوان، العدد ٣٢، صـ٨٦

الأساسي والمباشر، كل هذه العوامل والدراسات هي المصدر الأصلي والصحيح لمعرفة ذوق أي شعب من الشعوب"[١].

ثانيا ـ ماهية الفن القبطي :

كلمة قبطي مشتقة من AGYPTUS و هي كلمة يونانية أطلقت علي مصر والمصريين وربما تكون هذه الكلمة قد اشتقت أصلاً من الاسم المصري القديم لمدينة منف Hekuptah ومعناها قصر أو روح الإله تاح " ولقد أطلق العرب بعد الفتح العربي كلمة " قبطي" على المصريين من سكان البلاد الذين يعتنقون الديانة المسيحية[٢].

كلمة " قبط " تعني في المعجم الوجيز " كلمة يونانية الأصل بمعنى سكان مصر، ويقصد بهم اليوم المسيحيون من المصريين وأقباط و " القبطية " هي ثياب من الكتان بيض رقاق، كانت تنسج بمصر، وهي منسوبة إلى القبط (القباطي)[٣].

يعرف المؤرخ الفرنسي الشهير بيير دي بورجيه الأقباط بأنهم " سليلوا الفراعنة مباشرة وان كلمة قبط ما هي إلا اختصار للكلمة الإغريقية ايجيبتوس Aigyptos حيث حذف الحرف اللين من المقدمة وحروف الإدغام من نهاية الكلمة.

كما يتفق معه في التعريف أيضا ثروت عكاشه قائلاً :

" ترجع كلمة قبطي في الأصل إلي معبد بتاح بمدينة منف وهو(حه – كا – بتاح) وانتقل هذا الاسم إلى الإغريقية فغدا (إيجيبتوس) كما اسقط إلى العربية عن الإغريقية فأسقط أوله على انه حرف التعريف مقابل (الـ) كما اسقط آخره على انه حرف إعراب وبقي (جبت) التي أصبحت (قبط)، والتي غدت تدل على السكان أكثر مما تدل على البلد وغدت بعد إسمًا مميزًا لمسيحي مصر تميزهم عن غيرهم، وسميت اللغة تباعًا باسم اللغة القبطية[٤].

إن انتماء لفظ " القبط " في اللغة المصرية القديمة بالمواطن المصري هو انتماء شعبي من المقام الأول، برز بصورة ايجابية أثناء الاحتلال الروماني ومن بعده البيزنطي، وبالتالي صار هذا اللفظ خاصاً فقط بهم، ويميزهم عن اليونانيين والرومان والجنسيات الأخرى، ولم يكن لهذا اللفظ Coptic ضرورة لغوية في فن النحت أو التصوير أو العمارة أو عموماً في الحياة الاجتماعية والفكرية في مصر، إلا مع انتشار الديانة المسيحية المصرية محلية الطابع وبصفة خاصة بعد القرن الرابع الميلادي، ونظرًا للصراعات المذهبية والسياسية الحادثة في تلك الفترة صار هذا المصطلح ضرورة

(١) سعاد ماهر: ١٩٧٧، الفن القبطي، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، القاهرة، ١٩٧٧، صـ٢٥

(٢) المعجم الوجيز: صـ١٨٨

(3) Pierr du Bourguet : 1968 , L'artcape. Albin Micheal, P162

(٤) ثروت عكاشه، ١٩٧٦، الفن المصري القديم، الجزء الثالث، دار المعارف، مصر، صـ١٣٩٨

للتعبير القومي والديني في تطور الحركة الفنية في مصر، فجاء مصطلح (القبطي) صفة خاصة بهم وبمذاهبهم وطقوسهم وكنائسهم وحياتهم عمومًا[١].

كما يرى Josephe Jacuiot أن الأقباط هم المسيحيون أصحاب المذهب الوحدوي Monophysite ، القائل أن السيد المسيح طبيعة واحدة، والذين ظلت لغتهم الطقسية لغة التعامل اليومي.

ثالثا ـ نشأة الفن القبطي :

اعتبر (Du Bourguet) أن الأقباط هم سليلو الفراعنة و أن كلمة قبطي تعني في المقام الأول الشعب الذي يقطن البلاد أثناء الفترة التي أطلق عليها اسم " المرحلة القبطية " و التي تضم الأهالي من المنطقة المتوسطة أو الفلاحين المندمجين في هذا الشعب، وتعني كلمة " قبطي " أيضاً، المسيحيين ذات الأصل المصري[٢].

فالفن القبطي هو الفن الأول في الشرق الأوسط الذي كان من إنتاج الشعب ولم توجهه الدولة، وقد أتجه مسيحيو مصر منذ فترة الاعتراف بالكنيسة عام ٣١٣م وعندما تتبع مراحل نشأة الفن القبطي تتأكد لنا أصالته وعندما انتشرت المسيحية في الإمبراطورية الرومانية ظهر أسلوب فني نشأ في مصر وتأثر بالتقاليد الشرقية والمحلية وانعزل عن الحضارة الهلنستية التي كان يمثلها الحاكم المستعمر وبمرور الزمن بدأ الفن البيزنطي في مصر يأخذ سمات جديدة نتيجة لتأثره بالعناصر المحلية بينما الفن القبطي تطور وابتعد عن نفوذ الحاكم وسيطرته وكون لنفسه طرازًا مسيحيًا محلياً نابعًا من صميم الشعب القبطي حتى ظهرت آثاره في مصر الوسطى والعليا[٣].

ومنذ ذلك التاريخ ظهرت جماعة في مصر لها أسلوب خاص وطراز فني جديد كان قوامه الروحي هو فلسفة الدين المسيحي.

ومن هنا يتضح لنا أن الفن القبطي كان له شعبية ومكانة فلقد التقى فيه العديد من الزخرفية ومن هذه الاتجاهات ما كان إغريقيا أو رومانيا أو سوريا أو بيزنطيا وأخيراً الفرعونية وكلها مجتمعة على ارض مصر[٤].

ومن هذه القيم الفنية التي بمثابة سمات الفن القبطي ما يلي :

- التعامل مع البُعدين، الطول والعرض، دون البعد الثالث.
- تناسب الشكل مع الفراغ بإحساس جمالي مستمد من النسق التكويني.
- يحدد الفنان القبطي رسومه بخطوط واضحة وقوية كما كان يفعل المصري القديم.

(١) عزت زكي حامد قادوس، محمد عبد الفتاح السيد، الآثار والفنون القبطي، مطبعة الحضري، الإسكندرية، ٢٠٠٠، صـ٢٦

(2) Pierre Du Bouguet – L' Art copt – Edition Allrin Michel – Paris – 1968 – PR 1-2

(٣) نعمت إسماعيل علام: فنون الشرق الأوسط في الفترات الهلنستية المسيحية الساسانية.

(٤) ثروت عكاشة : الفن المصري ، الجزء الثالث ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦ ، ص١٤١٨.

إلا أن الفنان القبطي قد أضاف صياغات تشكيلية بنعت من عمق العقيدة والبحث عن الخلاص، والبعد عن الذات، والملذات فجاءت أوضاع أشخاصه الأمامية أو الجانبية بصورة تلقائية مخالفة لأوضاع المثالية الفرعونية، كما رسم الفنان القبطي هالات حول رؤوس الشهداء والقديسين دلالة على الاعتزاز والتكريم والتشفع بهم[١].

وإضافة إلى اللون الذي استخدمه الفنان القبطي محملاً بدلالات رمزية تخدم المضمون اللاهوتي للعقيدة المسيحية.

وقد اعتمد في اتخاذ موضوعاته على مصدرين أساسين :

١. المؤثرات المصرية القديمة التي انتقلت عن طريق الفن الهلنيسي والمأخوذة من الأساطير اليونانية والرومانية والتي أضاف إليها وجهة نظر خاصة به دون أن يأخذها بمفهومها الوثني[٢] ، بل وضع صبغته من خلال الرموز والإشارات المسيحية من منظور عقيدته الخاصة ومن تلك الموضوعات قصة المرأة الممدة على الأرض وتحمل في يدها الكرة الأرضية. وقصة أوروبا على شكل إمرأة تركب ثورًا وقصة أفروديت وفينوس وكذلك مشاهد الصيد والمحارب والراقصات.

٢. القصص المسيحي الذي استخدمه الفنان القبطي لتجسيد و توضيح عقيدته الدينية المستوحاة من الكتاب المقدس والتي تحكي قصص الأنبياء والقديسين فيها الأسلوب التعبيري التصويري من خلال الرمزية. كأحد السمات الرئيسية للفن القبطي في خدمة العقيدة ، ونجد عندما صور الفنان القبطي في رسمه الديني لصور الموت ، يرسمهم أبطالاً منتصرين وحولهم رموز الشر الذين ينقضون عليها ، ويسحقونها ، وهذا يفسر المصدر الأول لرسوم موضوعاته ومدى تأثرها بالفن المصري القديم ، كما كان الفنان المصري القديم يرسم الميت أمام معبد أوزوريس واقفاً[٣].

كذلك يرسم الفنان القبطي صور القديسين في منظر احتفالي ويضع في يد القديس رمز الإيمان كما في الفن المصري القديم.

ومن أكثر الموضوعات المفضلة لدى الفنان القبطي على جدران سراديب الموتى وصورة – صورة الراعي الصالح – وإقامة لعازر من الأموات و الثلاثة فتية في أتون النار وإلقاء يونان في البحر والسيد المسيح بين بولس وبطرس[٤].

(١) عماد لمعى: مدخل جديد لاستلهام التراث من خلال العولمة، رسالة دكتوراه، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ٢٠٠٢، صـ١٢٠

(٢) سعاد ماهر: مرجع سابق، صـ٢٩

(٣) سعاد ماهر: مرجع سابق، صـ٣٠

(٤) القمص يوساب السرياني: مرجع سابق، صـ٣٣

رابعا ـ تأثير الفن المصري القديم على الفن القبطي :

لقد خضع الفن القبطي لمؤثرات البيئة المصرية التي نشأ وتواجد بها ويعتبرونه " ترجماناً صادقًا للحياة المصرية في تلك الفترة من الزمان وما قبلها وما بعدها"[١]. الفن القبطي فن أصيل ، له ذاتيته وخصائصه المميزة ، وذلك على الرغم من قصر الفترة التي ارتقى فيها هذا الفن ونما ، ولقد قام الفن القبطي من أجل الشعب وأسهم في تربية عقول العامة وكان هذا الفن – رغم ذاتيته – متطوراً مع المعتقدات والعادات المتباينة فقد تأقلم شكله الفني خلال العصور المختلفة ، حتى لقد عبر عن ذلك أحد المؤرخين المختصون حين قال : (ارتدى أبطاله الشعبيون كل الأزياء ابتداءً من الرداء المصري القديم إلى العباءة الكلاسيكية اليونانية ، حتى القفطان ذي الألوان غير المتجانسة والمأخوذة عن الفرس والهنود)[٢].

وفي صور الفن القبطي قام الفنان بإظهار أدق التفاصيل مثل الملابس وغيرها فالتركيب الفني القبطي كان مماثلاً تمامًا للفن الفرعوني في كيفية الاهتمام وإظهار كل شيء ، فقد حاول الفنانون القبط في أول عهدهم بالمسيحية الابتعاد عن التقليد لما هو ثانوي " وتأثر الفن القبطي بلا شك بالفن الفرعوني من ناحية الفكر فذهب إلى رسم الأحداث التاريخية للقديسين وتغطية الجدران بالرسوم والصور دون ترك أي فراغ "[٣]، و ركز تأثيره بالفن الفرعوني في بعض المظاهر مثل إظهار الفخامة داخل الكنائس كالمعابد الفرعونية وتزيينها وإعطائها جو الفخامة. واستمد الفنان القبطي أسلوب التصوير الرمزي عن الفن الفرعوني الذي شاع استخدامه فيما بعد في جميع الكنائس مستمدًا أصوله من الكتاب المقدس وأحداثه التاريخية ، وكما فعل القدماء المصريون كذلك فعل الأقباط حين وضعوا رسوماتهم داخل إطار محدد باستخدام الزخارف أو التجاويف (العينات) والرسوم النباتية بداخل إطار ، وتأثر الفن القبطي بالفن الفرعوني في تيجان الأعمدة فقد نقش ونحت الفنان القبطي تيجان أعمدته متأثرًا بالمواضيع الفرعونية كالسلال وفروع الأشجار والنخيل ونبات البردي[٤].

وان الفنان القبطي أضاف إلى هذه المعاني – الوجود والحياة – معني التعايش والتآلف بين الحيوانات وبعضها وبين الحيوانات والإنسان[٥].

---

(١) باهور لبيب: الفن القبطي، سلسلة كتابك، العدد ١١٨، دار المعارف، القاهرة، (ب،ت) صـ٦

(٢) القمص يوساب السريانى: الفن القبطي ودوره الرائد بين الفنون، مطبعة الأنبا رويس العباسية، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، صـ١١

(٣) عفاف زكي راشد محمد: العناصر الزخرفية في العمارة الفرعونية والقبطية والإسلامية، رسالة دكتوراه منشورة، كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان، ١٩٩٤، صـ١٨١

(٤) جوزفين فايز غالي لبيب : الاستفادة من القيم التشكيلية في بعض العناصر القبطية في تصميم الحلى، رسالة ماجستير، كلية تربية نوعية، جامعة المنصورة، ٢٠٠٨م، صـ١٦

(٥) جرجس داود: ٢٠٠٠، أضواء جديدة على بعض القطع الأثرية بالمتحف القبطي مجلة الفنون القبطية، معهد الدراسات القبطية، صـ١٢٩

خامسا ـ تأثير الفن اليوناني الروماني على الفن القبطي :

قبل القرن الخامس الميلادي لا يمكن التحدث عن شيء يسمى الفن القبطي " إذ أن الفن المسيحي حتى القرن الخامس كان هو فن الإسكندرية المعروف باليوناني الروماني"[١].

" وقد ذكر فلتشر أن كنائس فجر المسيحية " قد تأثرت أو اقتبست من المنازل الرومانية حيث كانت الاجتماعات تقام عادة وتحدث مناقشات فلسفية في صالة أو قاعة خاصة في المنازل الكبيرة أو القصور أو ربما ببساطة اقتبست من المعابد الوثنية.[٢].

ولقد اقتبس فن مصر القبطي بعض عناصره من الفنون الأخرى خلال الأحداث السياسية أو العلاقات التجارية، فمثلاً بحكم موقع الإسكندرية الحساس اخذ الفنانون عن الفن اليوناني والروماني تيجان الاكانثاس بعد أن صوروها و جردوها من نسب الطراز الروماني الأصلي وأبعاده، كما أخذ الفن القبطي كذلك من الفن البيزنطي والساساني ورغم كل ما اقتبس بقي الفن القطبي محافظاً على جوهر قوميته وأصالته[٣].

سادسا ـ مميزات الفن القبطي :

١. نتاج عدة فنون سابقة :

يعتبر الفن القبطي وليد الفن الفرعوني في مراحله المتأخرة متأثرًا بكل من الفن الروماني واليوناني والهيلنيستي والتدمري والسوري والساساني والفارسي وفنون البطالمة والبيزنطي المسيحي والفن الشعبي[٤].

٢. فن شعبي قبطي :

الفن القبطي هو الفن الأول في الشرق الأوسط الذي كان من إنتاج الشعب، ولم توجهه الدولة وقد أنتجه مسيحيو مصر منذ فترة الاعتراف بالكنيسة عام (٣١٣م) وعندما نتتبع مراحل نشأة الفن القبطي تتأكد لنا أصالته[٥].

فقد نشأ في القرن الثالث الميلادي حتى القرن التاسع عشر ولكن ازدهر في مصر من القرن الرابع حتى القرن السابع الميلادي[٦].

ويعد الفن القبطي الأول الذي يوصف بالشعبية بسبب أن " الحكام لم يعودوا يقطنون مصر فأدى ذلك إلى انتقال الفنون الملكية إلى من هم أقل، وكان الفنان قبل ذلك يجاري الحكام ويقوم بتنفيذ ما يطلب منه لكن بحس قبطي، وصار الحكام بعد ذلك إذا أرادوا إقامة أعمال فنية تخلدهم

---

(١) رؤوف حبيب: تاريخ الفن القبطي ومتحفه، مكتبة المحبة، (ب،ت)، صـ٥

(٢) لبيب يعقوب صليب: الفن القبطي المصري في فن العصر اليوناني، ج أول ، مطبعة قاصد خير، القاهرة، ١٩٦٤، صـ٢٥

(٣) داود خليل مسيحة، دراسة تحليلية للعمارة القبطية الدينية بمحافظة سوهاج من القرن الخامس حتى القرن الثامن عشر الميلادي، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان، ١٩٩٥، صـ٧

(٤) مراد كامل: د.ت حضارة مصر في العصر القبطي، مطبعة دار العالم العربي، القاهرة، صـ١٣٢

(5) Josephe. Lacuiot : P 11

(٦) مراد كامل: مرجع سابق، صـ١٣٢

يقيمونها في عواصم بلادهم[١] ، وليس بمصر ولذلك فقد الفن القبطي التوجيه السياسي واتجه إلى الشعبية.

٣. فن ديني ومدني :

يظهر الفن في الأمور الدينية كما يظهر في النواحي المدنية بوضوح وبالتالي لم يصبح الفن القبطي فنًا دينيًا يتصل بالكنيسة والعبادة فحسب بل في جميع التخصصات، ومثال ذلك، ما نجده في زخارف على الآثار من الملابس الكهنوتية الدينية بجانب ما كان يرتبه افراد الشعب من العامة في حياتهم فإنه على قدر اهتمام الفن بالناحية الفنية الدينية وجه الفنان اهتمامه بالناحية المدنية.. ولا عجب فقد كان الفن القبطي فن الشعب المصري بأكمله[٢].

٤. فن يستخدم الخطوط والأشكال الهندسية :

نجد أن الفنان القبطي اعتمد في أعماله على الزخارف الهندسية التي أساسها المثلث والمربع والدائرة وتطور بعد ذلك إلى استخدام الخطوط المتلاقية والمتقاطعة والتي ينفذ بها شبكاته الهندسية حتى توصل الفن القبطي إلى اتجاه زخري في بحث يلغى الموضوع تماماً[٣].

٥. فن يتسم بالطابع المهاري :

حيث تتسم زخارف الفن القبطي بالطابع المهاري في تنسيق العناصر " حيث تكثر استخدام الوحدات الزخرفية وتنوعها سواء كانت من ابتكار الصور القبطي، أو مستوحاة من عناصر فرعونية أو يونانية أو رومانية واستخدام الخطوط المتقاطعة والمتشابكة وتحديد الأشكال بخطوط قوية واضحة واستعمال الألوان المشبعة الزاهية غير الطبيعية"[٤].

٦. فن يميل إلى الزينة والجمال :

الفن القبطي فن الزينة والجمال حيث رأى الفنان القبطي أن العناية بالفن من خير الوسائل لتهذيب الذوق، وإذا كنا نعتني بتثقيف العقل حتى نصل إلى حب الحق، ونعتني بتهذيب الخلق حتى نصل إلى حب الخير، فينبغي أن نعتني بتهذيب الذوق حتى نصل إلى حب الجمال.

وكذلك من ابرز خصائص الفن القبطي انه يرهف الحس ويصفي الذوق ويذكي في النفس حب الجمال ولذلك كان يهتم بتزين ما يقع تحت يديه من أعمال فنية تضفي على الفن جمالاً حيث زينوا التوابيت والمصنوعات المعروفة بالفسيفساء كما ظهر لنا في ما تزينت به النساء من حلى وأحجار كريمة وملابس ذات الألوان الزاهية، امتدت الزينة إلى الكتابات القبطية فزينوا الكتب وزخرفوا صفحاتها وزينوا افاريز المباني ورؤوس الأعمدة[٥].

---

(١) مراد كامل: مرجع سابق، صـ١٣٢

(٢) لبيب يعقوب صليب: الفن القبطي المصري في العصر اليوناني الروماني، ج أول، مطبعة قاصد خير، القاهرة ١٩٦٤، صـ٤٧

(٣) مراد كامل: مرجع سابق، صـ١٣٢

(٤) مراد كامل: مرجع سابق، صـ٢٠٣

(٥) جرمين فوزي غالي: مرجع سابق، صـ٢٥- ٢٦

٧. فن جمال لا ضخامة :

اهتم الفنان القبطي بجمال الأشكال من حيث الاهتمام بإبراز المعاني بدقة في الأعمال الصغيرة فاتجه إلى إبداع مشغولات صغيرة كأدوات الزينة والحي والمنسوجات، وذلك يرجع إلى قلة الخامات والاضطهاد الشديد الذي لاقاه الفنان القبطي في ذلك الوقت وبالتالي ابتعد عن الضخامة ولم يعد الاهتمام كما كان من قبل بالأحجار الضخمة كما كان في الفن المصري القديم كالأهرامات والمعابد والتماثيل والأعمدة والمسلات[١].

٨. فن نابع من البيئة المصرية :

عبر الفنان عن مواضيع البيئة، وقام بتنفيذها في مجالات الفنون المختلفة بخامات متنوعة كالخيوط في النسيج والأحجار في النحت والأوراق والأيقونات في التصوير و نرى أن الفنان القبطي قد عبر عن الوجوه القبطية بملامحها المصرية ولون بشرتها، كما صور الحيوانات الأليفة واستخدم النباتات المصرية في زخارفه.

٩. فن واقعي :

الفن القبطي فن واقعي ، ففي متحف الإسكندرية يوجد التماثيل الصغيرة مجموعة التناجرا والتي لا مثيل لها في العالم من حيث الاكتمال والتلوين والدقة في التعبير وإنما يعطينا فكرة واضحة عن صميم الحياة الاجتماعية في حياتهم اليومية من بيع وشراء وتداوى من الأمراض ثم عاداتهم وتقاليدهم المتبعة في أفراحهم وأحزانهم، كما تعطينا فكرة واضحة عن مثالية المرأة واهتمامها بزينتها و طريقة تصفيف شعرها ولا شك أن هذه التماثيل تبرز لنا الطرق المختلفة التي كانت مستخدمة في تصفيف الشعر.[٢].

١٠. الفن القبطي فن تلقائي وبسيط :

الفن القبطي عبر عن الأحداث السياسية والاجتماعية و الاقتصادية بشئ من البساطة في الأسلوب التعبيري والبساطة سمة واضحة من سمات الفن القبطي، فجذور الفن المصري القديم تجلت بوضوح في صلابته وجمود أوضاعه داخل حدود معينة وتجلت البساطة في خلو الأعمال من التفاصيل، فتبدو الأشخاص مرتدية ملابس قليلة الطيات في النحت والتصوير إذا ما قورنت بالفن الروماني أو البيزنطي[٣].

١١. فن موضوعي :

حيث أن الفن القبطي اتسم بالالتزام والبساطة فإنه فن موضوعيًا حيث اهتم بالموضوع أكثر من الشكل والتفاصيل الشكلية ولقد اهتم بتوازي المساحات وملء الفراغ فأنتج أعمال تتسم بالأصالة والبساطة محققاً الموضوعية.

---

(١) مرقص فارس بسطوروس: الرموز القبطية كمدخل لإثراء المشغولة الفنية، رسالة دكتوراه، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ٢٠٠٦، صـ٢٩

(٢) لبيب يعقوب صليب: مرجع سابق، صـ٤٩- ٥٠

(٣) جوزفين فايز: مرجع سابق، صـ٢٥

١٢. فن يميل إلى المنمنمات :

فن المنمنمات هو فن خاص بالتصوير على الورق (المخطوطات) ورقائق الجلد وقطع النحاس الصغيرة ، وهي رسوم تتخذ بالأكاسيد على الأسطح المختلفة لها أسلوب التصوير ولكن على قطع صغيرة وهي من يدمج بين التصوير والأشغال الفنية[١] .

١٣. سمات رسم الأشخاص :

يتميز الفن القبطي عن غيره من الفنون الأخرى بوضع هالة أو تاج وأحيانا الاثنين معًا وذلك على رؤوس الشهداء والقديسين[٢] . كما نجد أن الفن القبطي قد خلا من ضوع قطع صغيرة من الفضة أو المعادن الأخرى كما هو معتاد لدى اليونانيون الذين كانوا يضعون تاج فوق رأس السيدة العذراء ويغطون باقي أجزاء الجسم بقطع من المعادن ويسمى الاكلاد (Oklad) عدا الوجه واليدين.

١٤. فن يميل إلى الرمزية :

ابتعد الفنان القبطي عن محاكاة الطبيعة عند رسم عناصره واكتفى بالرمز في التعبير عن المادة وكان ذلك لملائمة حالة التقشف والزهد التي وصل إليها الفنان القبطي بعد فترة من الاضطهاد و التعذيب في سبيل الاحتفاظ بعقيدته[٣] .

ولقد لجأ الفنان القبطي إلى الترميز عندما أخذت الديانة الجديدة تسري بين أفراد الشعب سريانًا خفيًا في بادئ الأمر نظرًا لبطش الاضطهاد الروماني للدين المسيحي والمسيحيين آنذاك لذا " نشأت الحاجة عند توقف اعتناق المسيحية في الخفاء إلى لغة اقل سرية وثورية عن تلك التي صورت في المقابر "[٤] . فشوهد الخليط من الرموز المسيحية إلى جانب الأثر الوثني، ثم سارت في طريق التطوير إلى أن أخذت الصور الوثنية في الزوال وأفسحت المجال للنقوش والرموز المسيحية البحتة التي انتشرت وعمت الفن القبطي فيما بعد[٥] .

الرمزية في الفن القبطي :

" إن الدلالة الرمزية المصاحبة للوعي الإنساني انبثقت من الفكرة الثنائية التي شغلت ذهن الإنسان الأول ، فقد كان العالم في نظره ذو شقين. إلى ما هو واقع وما هو فوق الواقع والى عام ظاهري منظور وعام الأرواح غير المنظور حتى أن الإنسان نفسه ينقسم إلى جسم فان ونفس خالدة، وتلك الثنائية أدت إلى أن يضع الإنسان عالما مصمما تصميما مثاليا في مقابل الواقع التجريبي

(١) مراد كامل : مرجع سابق، صـ١٣٠

(٢) ليب يعقوب : مرجع سابق، صـ٤٨

(٣) سعاد ماهر: مرجع سابق، صـ٢٥

(4) Edward Halme: Symbolism in Christian art, Bland ford press, pool, porect, frist published, Greak Britian, P2

(٥) القمص يوساب السرياني: مرجع سابق، صـ٢٢

المعتاد و كانت هذه هي بداية عملية اصطباغ الفكر بالصبغة العقلية، فالعقل يخلق الرمز ويترجمه الفنان حسيًا"[١].

" الرمزية في اللغة هي الإيماء أو العلامة أو شكل من أشكال التعبير اللفظي وغير اللفظي والذي من خلاله يستطيع العقل البشري أن يتقبله ويستخدمه من اجل إخفاء معاني محددة واستخلاص بعض المفاهيم التي يصعب الإفصاح عنها أو شرحها. فالرمز احدي أهم وسائل الفهم والتعبير حتى أن الرمز ارتبط مع الإنسان للتعبير عن العالم الروحاني اللامحدود[٢].

وقد يعني الرمز فن التفكير من خلال الصور والأشياء المستخدمة كرموز مادية أو معنوية وقد تصبح الصور رمزًا عندما يكون معناها خفي وليس ظاهرًا. والرمز الشعبي أحد أنماط الرموز التي اعمل معها الإنسان من سالف الزمان حتى أصبح يحمل مواصفات الإنسان من مفهوم التاريخ الوراثي الذي أتم بنائه ، وبما يحمله من تعبير يدل على خصوصيته وتفرده وقدرته على البقاء والاستمرار عبر العصور بما يحمله من تغيرات وتطورات[٣].

و ترى أميرة مطر " إن الرمز الفني في ذاته له معنى خاص به تستمده من تأمله والانفعال به، فكان الشكل والمضمون يكونان قبة وحدة عضوية ، ويتميز بأنه لا يمكن أن يستبدل بغيره، و يظل المعنى واحدًا . لذا يصعب في الفن تغيير الشكل أو الصورة بغير أن يصحبه تغير في المعنى أو التعبير[٤].

وتلك الرموز التي استخرجها الفنان من الطبيعة أو شكلها بخياله ، جعلت الرموز ذات أهمية وسائطيه بين المعرفي والكوني أي بين داخل الإنسان وخارجه لكشف الحقائق الكامنة ، خاصة وأنها تخفي أشياء وتظهر أشياء فتحول الظاهرة إلى فكرة والفكرة إلى تشكيل تصويري تتحاور فيه الأشياء وتتحرك[٥].

الرموز متصلة بالجماعة على نحو ما لأنها مشتركة مع رموز أخرى في أداء ما وقد تكون تلك الرموز قولاً أو فعلاً أو الاثنين معًا وقد قدر للرمز أن يكون باقياً عبر العصور والأزمنة لأنه يقوم على التأمل والمنفعة والامتداد لتوظيفه[٦].

هذا بالإضافة إلى حالة الاستمرار في فكر ووجدان الجماعة . و لا تنسى الدور الهام للرمز من خلال الصياغة الفنية للشكل واللون الذي يعطي معنى يدل على جوانب حياتية متعايشة مثل

(١) نادية عبد العاطي أبو طالب : أهمية الرمز في الفن التشكيلي ، مجلة دراسات وبحوث، المجلد العاشر، العدد الرابع، القاهرة ١٩٨٧

(٢) الآثار والفنون القبطية: محمد عبد الفتاح السيد – وعزب زكي حامد قادوس، الخفري للطباعة – الطبعة الاولى، الإسكندرية، ٢٠٠٠، صـ٢٨٧

(٣) منى محمد أنور : بحث عن الفن الشعبي والطابع القومي للمعلقات النسجية، مجلة العلوم والفنون، العدد الثالث، م.١١، جامعة حلوان، صـ١٢٨

(٤) أميرة حلمي مطر: ١٩٩٤، مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، صـ٢٨

(٥) نبيلة إبراهيم: ١٩٩٦ ، المقومات الجمالية للتعبير الشعبي، مكتبة الدراسات الشعبية ، الهيئة المصرية لقصور الثقافة، صـ١٦

(٦) تامر مجدي : استنباط صياغات جديدة للنسجيات الديرية متعددة المستويات مستوحاة من رموز الفن الشعبي ، رسالة ماجستير، كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان.

الخير والشر والألم والحزن والشك واليقين واللون يعتبر إضافة إلى إمكانيات معنوية اهتم بها الفنان، فكانت ألوانه فطرية دلت دلالات رمزية كاللون الأسود يرمز إلى الحزن و الضيق، والأخضر يرمز إلى الخير و الإيمان و الأزرق يرمز إلى اللؤم[١].

ولا يتجزأ من حضارة الشعوب، فالرمز وليد لمعارفهم وأفكارهم. واحتياجاتهم وليس فقط انعكاس لفكر وأسلوب ورمز وعقيدة الفنان القبطي بل يمتد أيضا ليصبح حصيلة عملية وبيئية حياتية تفاعل وتأثر بها. فالرمز استخدم في عصور متتابعة يحمل في طياته متغيرات شتى وتطورات في كافة اتجاهات الحياة . آثرت بشكل واضح و مباشر لدى حياة البشر في صياغة رموزه[٢].

لقد رمز الفنان القبطي إلى المادة بأقل الخطوط وأوجز الرموز واهتم بالمعاني الروحية أكثر من الجسدية فقد رسم العيون الواسعة الكبيرة رمزًا للتفكير ، واهتم برسم الأجسام الضخمة والأرجل القصيرة رمزًا لد للغني[٣].

وهناك آراء للباحثين تؤكد أن أسلوب استخدام الرمز في التعبير عن الشخصيات والأفكار الدينية هو أكثر الأساليب ملائمة لوضع المسيحيين في الإمبراطورية الرومانية هو أكثر الأساليب ملائمة لوضع المسيحيين في الإمبراطورية الرومانية حيث استخدمت أشكالاً لا تتضمن مغزى موروث وإنما تتخذ لنفسها مغزى معين يدركه أبناء العقيدة[٤].

الفن القبطي والمشغولات المعدنية :

عرفت المعادن من منذ أقدم العصور في مصر، وتم استعمالها وصهرها وزخرفتها، فصنع الفنان القبطي من النحاس أواني مختلفة الأشكال[٥].

و كان الصانع المصري المسيحي ماهرًا كأجداده الفراعنة في صناعة المعادن وان لم يصلنا الكثير من القطع المعدنية من العصر المسيحي الأول لأنه جرت العادة على صهر الأدوات المعدنية وإعادة تصنيعها لذا فإن غالبية القطع الموجودة بالمتحف ليست قديمة قدم تلك التي وصلتنا من العصر الفرعوني التي حفظت في المقابر المعلقة ، الأمر الذي ساعد كثيرًا في تأريخ القطع التي ترجع للعصر الفرعوني وصعوبة تأريخ القطع التي ترجع إلى العصر المسيحي[٦].

واستخدم الفنان القبطي قدراته العلمية ومهارته الأساسية في تشكيل وزخرفة بعض النماذج المعدنية التي تستخدم للزينة ببعض الزخارف النباتية والثمار كعنقود العنب وأوراقه، فضلًا عن إحساسه بشكل العام الذي يتجه في أكثره نحو الرمز إلا انه كان يعالج سطوح الخامات التي

(١) منى محمد أنور : مرجع سابق، صـ١٢٨

(2) E.Hulme- Symkalism in Christian Art-Bland for Depress – MC ML XXVL, P6

(٣) مراد كامل : د.ت. حضارة مصر في العصر القبطي، دار العالم العربي، القاهرة، صـ١٣٢

(4) Hugettanour & Johm Fleming – Aworld History of Art- 3rd, Edition – Laurenceking Press, 1994 , P-P. 268

(٥) باهور لبيب : الفن القبطي، سلسلة كتابك، العدد ١١٨، دار المعارف، القاهرة، (ب – ت) ، صـ ٣٠

(٦) فؤاد عبد الحميد احمد، تطوير المتحف القطبي، هيئة الآثار المصرية، ١٩٨٤، صـ١٠

استخدمها في هذا الغرض ببعض وسائل الحفر الدقيق بعناصر تنزع إلى تسجيل بعض الأفكار الدينية والتعاويذ السحرية وتتجه في أنماطها إلى التبسيط وتوخي الميول الشعبية الفطرية والوفاء باحتياجات التجميل ، ولكن في حدود الإسراف والمبالغات التي نجدها في بعض الحضارات الأخرى[١] .

فالفن القبطي له طابع أصيل فقد احتفظ به في زخرفة التحف المصنوعة من المعادن المختلفة ، التي تزينها عناصر زخرفية متنوعة ، تتألف من بعض العناصر النباتية والحيوانية والآدمية[٢] . كما يظهر في بعض الأواني أو المسارح التي على شكل آدمي ، ومنها واحدة وجدت في بلاد النوبة ومحفوظة حالياً بالمتحف المصري أو زخرفة على شكل حيوان كالحصان أو زخرفة نباتية كالمنقوشة على غطاء الإنجيل المصنوع من الفضة وعليه كتابات باللغة القبطية ، أو زخرفة تستوحي أقوال الكتاب المقدس ، كما بالمباخر ، وأهتم الفنان القبطي أيضا بتشكيل بعض الأدوات والنماذج المعدنية التي نفذها بالبرونز ، والتي ترتبط أساسا بمراسم الكنيسة كالمباخر و كالصلبان والمسارج والشمعدانات وأيضا مجموعات متنوعة من أشكال الأواني التي تخضع للاستعمالات المنزلية ، وتظهر في القناديل المسيحية إشكال الصلبان[٣] .

قائمة المراجع

أولاً : المراجع العربية :

١. إبراهيم الحيدري: ١٩٨٤، أثنولوجية الفنون التقليدية (دراسة سوسيولوجية الفنون وصناعات وفلكلور المجتمعات التقليدية)، ط١، دار العود للنشر والتوزيع، سوريا.

٢. الآثار والفنون القبطية: محمد عبد الفتاح السيد – وعزب زكي حامد قادوس، الخفري للطباعة – الطبعة الاولى، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

٣. أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات الدراسات الإنسانية والفنون الجميلة و التشكيلية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٩١م.

٤. أحمد عبد الغني، ب.ت. الأقنعة مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٥. أسماء يوسف بربري أحمد: ٢٠٠٣، الإمكانيات التشكيلية لتوظيف المثلث كرمز في التراث النوبي لإثراء المشغولة الفنية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، القاهرة.

٦. إسماعيل شوقي ، ١٩٩٨ ، الفن والتصميم ، ط١ ، مطبعة العمرانية ، الجيزة.

٧. أشرف السيد العويلي : ١٩٩٧م ، القيم الجمالية في الفن البدائي وعلاقتها بالتصوير المعاصر كمدخل لتدريس التصوير ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان.

٨. أشرف العويلي: الفن الشعبي في التصوير المصري المعاصر ومداخل استخدامه في التربية الفنية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ١٩٩١.

(١) محمود النبوي الشال ، محمد حلمي شاكر ، زينب محمد على : التنوق وتاريخ الفن ، العالم المصري للطباعة ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص١٧٢.

(٢) باهور لبيب : محيط الفنون (١) الفنون التشكيلية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص١٥٥.

(٣) محمود النبوي الشال ، محمد حلمي شاكر ، زينب محمد على ، مرجع سابق ، ص١٧٢.

٩.أغنسطس صفوت لطفي مقار: روحانية الأرقام في المسيحية، الطبعة الأولى، مؤسسة بيتر للطباعة، ٢٠٠٤م.
١٠. أميرة حلمي مطر: ١٩٩٤، مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
١١. انطون ذكرى، ١٩٢٣، الأدب والدين عند قدماء المصريين، دار المعارف، مصر.

ثانياً : المراجع الأجنبية :

1. Reve de L'Grient Chretien, 1910, Danieiou ;A History at Early Christian Doctrine, vol 1, eh 19.
2. ST. Lrenaeus: Adv. Hear. 5:19:1
3. ST. Cyril Of Jerusalem : Catech. Lect. 13:28.
4. ST. Athanasius: De incarn 25:4.
5. Rest: Our Christian Symbols, 1954.
6. Etruria is some ancient countries at the west of Italy.
7. The Celtics are from Indian Europian origin dwelt on Western Europe, especially Ireland, Scotland, Wales etc .....
8. Goldsmith : Ancient Pagan Symbols, 1929 .
9. At South America.
10. Goldsmith,.
11. Bible Folkore, p. 243 . 38. Goldsmith.
12. Ferguson G. : Signs & Symbols in Christian Art, N.Y. 1955
13. Bayley H. : Last Language of Symbolism, 1951, vol 2,.